

وشعور الحيوان كله ، بل تثير فيه حتى الشعور بما وراء الطبيعة من أسرار مرهوبة ومن أغوار لا يسبر مداها في النور والظلام : لأن المرأة حين تمثل الأنوثة هي مناط الخلق والتكوين وأداة التوليد والدوام والخلود ، وهي مظهر القوة التي يبيديها كل شيء في الوجود وكل شيء في الإنسان .

* * *

وكذلك تجمعت أسباب الهيام من ألفة إلى متعة إلى تفاهم إلى اتفاق في أمور ، إلى اختلاف في أمور غيرها ، حتى استحكمت أواصر الملازمة ، وتلاحمت وشائج الفتنة . فلما أنشأ يحاسبها على حقوق الوفاء ، ويتقاضاها أمانة الإخلاص ، لم يكن ذلك غلواً منه في تنزيه العصمة الإنسانية ولا غلواً في تنزيه عصمتها ، ولكنه حاسبها ذلك الحساب لأنه حتم لا مندوحة له عنه ، ولأن السكوت عنها كان أشق عليه من حسابها .

وإلا فماذا هو صانع ! أيفارقها ؟ ذلك عسير !

أيستبقها على أن يكون لها وحدها ولا تكون له وحده ؟ ليس ذلك بيسير !

وهكذا يتفق أن يحاسب الرجل المرأة بميزان الملائكة ، وهو لا يستبعد منها غدر الشياطين .